تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 03 العدد: 02 ص ص: 29 - 40
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

نشأة الدين بين التصور الإنساني والمنظور الإسلامي

The emergence of religion between the human perception and the Islamic perspective

بصال مالية[1] *

[1] مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي تيبازة- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2023/10/05 تاريخ القبول 2023/10/28 تاريخ النشر 2024/04/03

ملخص:

إن كلمة الدين من أكثر الكلمات استعمالا في القديم والحديث، ومن أكثرها ذيوعا و انتشارا في دنيا الناس. وفي واقع الحال ما من أحد على هذا الكون إلا ويجد حاجته الماسة إلى الدين، بحيث لا يستطيع العيش بدونه، فحاجة الإنسان إلى التدين أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب والمسكن، لأن الدين يكسب الفرد والجماعة آثار إيجابية، وورقتي البحثية هذه لا تبحث في أهمية الدين، بل تبحث في نشأة الدين وأصله، بين التصور الإنساني والمنظور الإسلامي، فالأول ينطلق في تفسيره لنشأة الدين من تصوره الذي تقوده الموجهات الثقافية والحضارية، وكذلك التأثيرات الدينية التي يخزنها الباحث في داخله تبعا للقناعات الإيديولوجية والفلسفية، أما المنظور الاسلامي فقد يعتمد على النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من يديه. ولا من خلفه.

الكلمات المفتاحية: الأديان؛ الإنسان؛ الإسلام؛ نشأة الدين؛ النظريات.

Abstract:

The word religion is one of the most used words in ancient and modern times, and one of the most popular and widespread words in the world of people. In fact, there is no one on this universe who does not find his urgent need for religion, a search that he cannot live without. The human need for religiousness is greater than his need for food, drink and housing, because religion gives the individual and the group positive effects, and this research paper does not discuss On the importance of religion, rather it examines the genesis of religion and its origin, between the human perception and the Islamic perspective. Depends on the Qur'anic text that falsehood does not come from his hands. Nor is it behind him.

Keywords: religions; Human; Islam; the genesis of religion; theories

* بصال مالية

تافزا، مجلة الدراسات التاريخية والاثريّة المجلّد: 03 العدد: 02 ص ص: 29 - 40
ISSN : 2773-3335 EISSN : 2800-1761

مقدمة : اعتبرت قضية الدين من أهم القضايا التي استحوذت على تفكير العقل البشري منذ القديم، فالحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان، هي أنه هناك جماعة إنسانية ظهرت وعاشت دون قوانين اجتماعية أو اقتصادية، لكنهم لم يجدوا مجتمعا أو حضارة دون دين. فالتدين فطرة ذاتية في النفس الإنسانية، حيث لا يمكن العيش بطمأنينة إلا في ظلاله، فكان الدين مرافقا للبشرية في كل أطوار حياتها.

فالدين في أي وضع من أوضاعه قديم قدم الجنس البشري ذاته، وكل محاولة لتفهم نشأة الدين في العالم تقتضي حتما التسليم بأن في قلب الإنسان وروحه وكيانه، نزعة روحيه ومطلبا يتعدى حاجات كيانه الجسماني ومطالبه.

الحقيقة أن الدين ظاهرة ترتبط دائما بالثقافات والحضارات المختلفة عبر التاريخ، ولا يمكن أن نجد حضارة لم يلعب الدين بها دورا ما، إلا أن فعالية وتأثير الدين تبقى بنسب متفاوتة، وبما أن هناك العديد من الأديان فهناك أيضا العديد من النظريات المفسرة لنشأة الأديان، وقد تعددت النظريات هذه بتعدد الموجهات الثقافية والحضارية، وكذلك بتعدد التأثيرات الدينية التي يخزنها الباحث في داخله تبعا للقناعات الإيديولوجية والفلسفية، وأيضا للأدوات المنهجية والمعرفية المستخدمة من قبل هذا الباحث أو ذاك. وتستند هذه النظريات إلى جملة مقدمات بحثية ودراسات ميدانية تاريخية وحضارية وأثرية، وإلى ملاحظات أصحابها، بينما نجد أن الإسلام يفصل في أصل الدين ومصدره دون غموض ولا تظليل.

وعليه فإشكالية ورقتي البحثية هذه تنبني حول التساؤلات التالية: ما هو تعريف الدين لغة واصطلاحا؟ ما هي تعريفات علماء الغرب والمسلمين للدين؟ ما هي النظريات الوضعية المفسرة لنشأة الدين ؟ فيما يتمثل رأي الإسلام في نشأة الدين وأصله ؟

وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم تعريفات الدين ، فكما هو معروف أن الدين يعد من جملة الموضوعات التي يصعب وضع تعريف لها، ويعود ذلك إلى كثرة الأديان وتنوعها في المجتمعات البشرية، فسأحاول في ورقتي البحثية إعطاء تعريف جامع لكل الأديان والمعتقدات. وكذلك التطرق لمختلف النظريات الوضعية المفسرة لنشأة الدين. ثم أتطرق لرأي الإسلام في نشأة الدين وأصله.

أما المنهج المتبع فيتمثل في المنهج التاريخي الاستقصائي، وذلك بالاستقصاء والبحث عن مختلف تعاريف الدين، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لتحليل وتفسير مختلف نظريات نشأة الدين.

1. *مفهوم الدين:*

1. 1 **لغة**: من الفعل دان الذي يعني الاستعباد والطاعة، والدين هو الجزاء والمكافئة والحساب، أي العبادة والورع والتقوى، حيث جاء في القرآن الكريم ﴿**إِنَّ الدِينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾ سورة آل عمران، أية 19.

دان يدين عز وذل وأطاع وعصى، واعتاد خيرا أو شرا أصابه الداء، وفلانا حمله على ما يكره وأدله ودينه تدينا وكله إلى دينه. (الفيروزدبادي، د ت، ج4، ص5.)

وجاء في لسان العرب: والدِّين الجزاءُ والمكافأة، ودِنْتُه بفعله ديناً: جزيته، ويوم الدينِ : يوم الجزاء، وفي المثل: كما تَدينُ تُدَانُ، أي : كما تُجازي تُجازى، أي تُجازى بفعلك، وتحس بما فعلت، وقيل : كما تَفعل يُفعل بك، فالدِّين الجزاء، والدِّين الحساب، والدِّين الطاعةُ، والدِّين العادةُ، والدِّين الحالُ، والدِّينُ: الورعُ، الدين: القهر والدِّين: المعصيةُ. (ابن منظور 2000، ص ص 338-340.)

الدين طاعة، وقد دنته ودنت له أي أطعته، والجمع أديان، يقال دان بكذا ديانة وتدين به، فهو دين ومتدين (مراد، د ت، ص 10).

فلفظُ" الدينِ يُطلقُ في لغة العربِ على جميع ما ذكرَ من معانٍ، وهي مع تعددها يمكن جمعها إجمالاً في معنيين:

الأول: العملُ : وفيه يدخل: الانقياد، والذل، والطاعة، والورع، والعادة، والحال، والمعصية.

الثاني: الجزاء على العملِ، وفيه يدخل: الحساب، والمكافأة، ومن لوازمه :السلطان، والقهر. فيتضح بهذا وجه الجمع بين تلكم المعاني التي أوردها أئمة اللغة في كتبهم.(سعدون و الشمري د ت، ص 20.)

وقد تعددت معان الدين في اللغة، وهي تنحصر في إيجاد علاقة بين طرفين، الطرف الأول يتمتع بالسلطان والقوة والملك، والطرف الأخر يتصف بالخضوع والطاعة والعبادة. (خليل، 2005، ص 8)

1. 2. *اصطلاحا:* ليس بين مؤسسات البشرية مؤسسة تضاهي الدين في سيطرته على نفسية الفرد وزجره وكبح جماح شهواته، سواء أكان الفرد بدائيا أو متمدنا، فالدين بني كيانه منذ نشأته على الحلال والحرام، فالحرام مالا يجوز لمسه أو التقرب منه، وحمل الفرد على الاعتقاد بأن من يخالف هذا التحريم يأثم ويستحق العقاب.

كما أن الدين هو عبارة عن أوامر ونواهي يحظر بعضها أفعالا معينة، ويأمر بعضها الآخر بالقيام بأعمال أخرى. ومن يمعن النظر في هذه الأوامر والنواهي يجد أنها في جملتها إنما جاءت لخير البشر وتحقيق مصالحهم ودفع المفاسد عنهم، ولاسيما الأديان السماوية الغير محرفة. (الساموك، 2002، ص 18.) وقيل في تعريف الدين أنه الاعتقاد بأمر

مقدس، قيل هو الإيمان بموجودات روحانية، كما قيل أن الدين هو الاعتقاد بقوة أو قوى فوق البشرية، ينبغي إطاعتها وعبادتها. (توفيقي، 1377 هـ، ص 22.)

ويبدو أن الدين هو ما اعترف به البشر طيلة تاريخهم، منذ وجود الخليقة بأنهم مدينون به للآلهة وقرارات الغيب وإرادات غير مرئية، إن مفهوم الدين يرقى إلى ذلك الإصرار الذي اعتمدته الشعوب المختلفة، على اعتبار أن علة وجودها يتعلق بشيء آخر مغاير لها، و هي مدينة له في وجودها وصيرورتها. (الدغيم ،1995، ص6)

2- مفهوم الدين عند العلماء:

2. 1 **عند علماء الغرب**: تباينت تعريفات وآراء الغربيين للدين، تبعا لاختلاف تخصصاتهم، والجانب الذي نظروا من خلاله إلى الدين . وسوف نذكر نماذج تعبر عن النظرة الغربية الجامعة للدين (دراز، د ت، ص33)

فيعرف ماكس موللر (Muller Max) الدين بأنه : « **السعي إلى إدراك ما لا يدركه الإدراك، والتعبير عما لا سبيل للتعبير عنه والجنوح إلى اللامتناهي** ». (الهاشمي ،1963، ص 29). ويعرف "سلاير ماخر" (Schleir macher) في كتاب (مقالات عن الديانة): « **أن قوام حقيقة الدين هو شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة** ». بينما يعرفه الأب شاتل (Abbé Chatel) في كتاب(قانون الإنسانية) قائلا: « **أن الدين هو مجموعة واجبات يقوم بها المخلوق نحو الخالق** ».

أما روبرت سبنسر(Robert Spencer) في كتاب "المبادئ الأولية" بأنه :« **الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية، هو العنصر الرئيسي في الدين»**

ويقول ايميل برنوف(Emile Burnouf) في كتاب (علم الديانات): « **أن الدين هو العبادة، والعبادة عمل مزدوج فهي عمل عقلي به يعترف الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبي أو انعطاف محبة، يتوجه به إلى رحمة تلك القوة».**

ويقول ريفيل(Revil) في كتاب (مقدمة تاريخ الأديان): « **أن الدين هو توجيه الإنسان سلوكه، وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية ، يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ويطيب له أن يشعر باتصاله بها».**

بينما يذكر سالومون رياناك (Salamon Reinach) في كتاب (التاريخ العام للديانات) أن: «**الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا**».

ويقول ميشيل ماير(Michel Mayer) في كتاب (تعاليم خلقية ودينية) : « **أن الدين هو جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكما مع الله، ومع الناس وفي حق أنفسنا».**

أما إدوارد تايلور(Edward Tayler) فيقول في كتاب(المدنيات البدائية): « **الدين هو الإيمان بكائنات روحية**». (دراز، د ت، ص ص 34-36)

وهذه التعريفات التي تمثل وجهات نظر الرئيسية للدين في الغرب، وهي تتلخص النقاط التالية هي:

الأول ينكر الدين والإله أصلا، والثاني يلجأ إلى الدين عند الحاجة الضرورية، والثالث يفهم الدين من الناحية الروحية والخلقية. والرابع يرى أن الدين هو كبح للحرية الإنسانية، وما يمكن استخلاصه من هذه الآراء هو أن كل هذه الآراء لا ترى أن الدين وضع إلاهي، بل ترى أنه نتاج التفكير الإنساني.

3. 2. عند علماء المسلمين:

يعرف المسلمين الدين على أنه وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول. ويقال أيضا أنه وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات إلى الخبر في السلوك والمعاملات. (الساموك، 2002، ص20)

تقول منال منعم جاد الله أن : الدين ليس إيمانا ومعرفة فحسب، بل هو فوق ذلك التفاف روحي متبادل، وهو رباط من الطاعة والولاء ومن الرعاية بين المتدين وبين الحقيقة العليا التي يؤمن بها، والتي يجوز أن يطلق عليها "التجربة الدينية" التي تشمل الجانب الداخلي الباطني لعلاقة الإنسان بالله وتفكره فيه وتوجهه إليه. (جاد الله، 1997، ص84)

والدين عند المسلمين ليس إيمانا ومعرفة فحسب، بل هو فوق ذلك التفاف روحي متبادل، وهو رباط من الطاعة والولاء ومن الرعاية بين المتدين وبين الحقيقة العليا التي يؤمن بها، والتي يجوز أن يطلق عليها "التجربة الدينية" التي تشمل الجانب الداخلي الباطني لعلاقة الإنسان بالله وتفكره فيه وتوجهه إليه.(جاد الله، 1997، ص 84).

ومن خلال ما سبق، يتضح الفرق في مفهوم الدين بين العلماء الغربيين وبين علماء الإسلام، فعند علماء الغرب خاضع لنظرة الشخص، وإلى ما يعتقد، بينما هو عند علماء المسلمين نابع من مفهوم الدين نفسه، ومن هنا حار علماء الغرب في إعطاء تعريف شامل للدين، بينما اتفق علماء المسلمين على إعطاء مفهوم للدين، وإن اختلفت التعبيرات اللفظية أحيانا.

ثم إن الملاحظ في تعريفيات الغربيين أنهم أبهموا فكرة الألوهية، لأنها تترك كثيرا من المعتقدات خارج دائرة تعريف الدين، فلم يهتموا بوضع تصور دقيق للإله، بل جعلوه ضمن عالم الغيب الخفي المقدس الذي شملته نظرتهم إليه، بينما فكرة الألوهية عند علماء المسلمين واضحة ووضوحها جاء من خلال ما أتى به الرسول ρ.

ثم إن تعريف المسلمين للدين أخرج كل الأديان ما عدا الدين السماوي غير المحرف من مفهوم الدين الحق، فتعريفهم قاصر على الدين المنزل فقط وليس على أي دين، وبهذا فقط خرج بتعريفهم كل الأديان الوضعية، وسموا الأمم التي تدين بالدين الصحيح (أهل الملل) كما سموا معتنقي الأديان الباطلة (أهل النحل). (العمري والحاج، 2010، ص12.)

4. **النظريات الوضعية المفسرة لنشأة الدين:** ومن أهم هذه النظريات نجد:

4. 1 **النظرية الأنتربولوجية**: تستند هذه النظرية على دراسة الأنتربولوجيون للمجتمعات البدائية، وأقدم نظرية أنتربولوجية تلك التي جاء بها "هربرت سبنسر"(Herbert Spencer) الذي رأى أن البشرية في أولى مراحلها لم تعرف الدين، ثم بدأت بتقديس أرواح زعمائهم الراحلين، ثم تحولت مع مرور الزمن أرواح أسلافهم المبجلين إلى آلهة تمركز الدين حولها وابتدأ بها.

ولكن إدوارد تايلور(Edward Tayler) طور هذه النظرية وأدخل فيها فكرة الأرواحية، حيث رأى أن الإنسان القديم كان يتأمل في حياته وفي ما يحيط به من موجودات، وكانت الأحلام مصدر اعتقاده بوجود أرواح تحل في كل شيء، فالأحلام عندما تأملها الإنسان البدائي أوصلته إلى فرضية وجود الروح، فالإنسان البدائي يفسر زيارة الميت له في نومه بأن روح الميت قد زارته في نومه. (الماجدي، 1998، ص ص 84-85.) ومن ذلك أدرك أن هناك كائن آخر غير الجسم يستطيع أن يترك الجسم وتنتقل إلى عالم الأحياء فيصيبهم بالنفع أو الضرر، لذلك بدأ بأداء طقوس خاصة تجاه نفوس الأموات.(بو الروايح، 2014، ص8) ، لأن الموت هو الذي حول النفس الإنسانية إلى روح مقدسة ، فإن أول عبادة انسانية في نظر تايلور كانت عبادة الموتى،و كانت أولى الطقوس التي أداها الإنسان هي طقوس للميت. وكانت أولى القرابين هي قرابين غذائية تشبع حاجات الميت، بينما كانت أولى الأماكن التي قددت عليها هذه القرابين هي القبور واللحود. (السايح، د ت،ص 51.).

وعليه فحسب رآى أصحاب هذه النظرية، فإن أقدم معتقد ديني ظهر إلى الوجود هو الاعتقاد بالأرواح وعبادتها، وأولى الآلهة المشخصة حسبهم هي تقديس الأسلاف وتشخيصهم في تماثيل ومعبودات مختلفة.

4. 2 **النظرية الطبيعية:** يرى ماكس (Max Muller) مولر أن التأمل والنظر للظواهر الطبيعية حملت الإنسان إلى الدهشة، هذه الأخيرة دفعته إلى التفكير بأنه محاط بقوى مستقلة عن إراداته. فظهر عن الطبيعة عالما خياليا مليئا بالكائنات الروحية التي أصبحت محرك الطبيعة وجوهر المعتقد الديني. بينما يرى جيوفنوس (Jovons)أن الظواهر الطبيعة العادية غير كافية لإيقاظ الفكرة الدينية، لأنها تتكرر عرضها على الحواس فتألفها النفس فلا تحتاج إلى طلب تفسيرها. إنما تثيرها الحوادث الطبيعية المفاجئة والنادرة ، التي يضطرب بها النظام العادي كالبرق والرعد والعواصف والصواعق والخسوف والطوفان والزلازل. (الخشاب، د ت، 122.)

فكان من الطبيعي أن هذه الحوادث الفجائية تزعج من يشهدها، وتحفزه إلى السؤال عن مصدرها، إذ كان لا يرى لها سببا ظاهرا ، واضطر عقليا أن ينسبها إلى شيء خفي ذي قوة هائلة، وهذه القوة هي التي تسير العالم، ولابد من العمل على ارضائها بتقديم الهدايا والقرابين و الأضاحي(السايح، د ت، ص 46).

يقول هنري برجستون : " **والو اقع أن الطبيعة قد وهبت الانسان ملكة خاصة تشبه الخيال من بعض الوجوه، تلك هي الوظيفة الأسطورية أو الملكة الخر افية التي بمقتضاها يستطيع الإنسان أن يخترع شخصيات خيالية، وهذه الشخصيات قد تكون أرواحا بادئ الأمر، ثم تتحول فيما بعد إلى آلهة**".(دراز، د ت، ص38).

والملاحظ من خلال عرض رأي أنصار هذه النظرية فإن كل الأديان التي أوجدها الإنسان، وصاغها كانت نتيجة النظر إلى عجائب الكون المادي. ويرون أن العبادة الأولى كانت عبادة مظاهر الطبيعة.

4 . 3 **النظرية الاجتماعية**: يقف إيميل دوركايم (Émile Durkheim) على رأس المدرسة الاجتماعية في تفسير نشوء الأديان، ويوجه في بادئ الأمر نقدا للنظريات السابقة لخلق الفكرة الدينية، لأن الاثنان تهربان بالدين عن حقيقته الاجتماعية، باعتباره جزءا منها، وقد أسهب دوركايم في دراسة المجتمعات البدائية (الطوطمية)، كان الدين بالنسبة له تعبيرا مجازيا عن المجتمع نفسه.

فمعروف أن العشيرة هي النواة الصغرى في المجتمع، قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها، وهو لقب يشتق في الغالب من اسم حيوان أو نبات وفي النادر جماد، أو كوكب من الكواكب، وتعتقد العشيرة أن لها بمسمى هذا الاسم صلة قديمة حيوية أو روحية، إما كان حليفا أو حارسا لجدها الأعلى أو نحو ذلك، لذلك تعظمه وترسم صورته على مساكنها وأدواتها و أسلحتها و راياتها، بل يتخذ الأفراد منه وشما يطبعونه على أجسامهم، كأنه بطاقة شخصية لتحقيق انتساب كل منهم إلى عشيرته، وهذا النظام يسمى الطوطم أو اللقب الأسري ، وهذا الطوطم هو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها، وسواء كان حيوانا أو نباتا أو جمادا فإن أفراد العشيرة يعتقدون أنهم منحدرون فعلا من هذا الطوطم، و هذه العشائر في تعظيمها لألقابها تعظم في نفس الوقت مسمى تلك الألقاب.(السايح، ب ت، ص ص 54-55)

ومعنى هذا أن القرابة لا تقوم على أساس وحدة الدم، وإنما تقوم على أساس اشتراكهم في اتخاذ الطوطم اسما لهم واتحادهم في النظر الاجتماعية، واشتراكهم في نفس العادات والتقاليد والطقوس الدينية، التي يلتزمون بأدائها نحو الطوطم، وتقوم الديانة الطوطمية على أساس تقديس طوطم العشيرة ،ويحرم لمسه إلا في مناسبات دينية خاصة، بقصد التبرك وقضاء حاجات المجتمع والتكفير عن الخطيئة أو رفع كارثة أحاطت بالمجتمع، لذلك ذهب دوركايم إلى أن الديانة الطوطمية هي أقدم الأديان على الاطلاق، و أنها أصل الأديان البدائية، وأنها متصلة بكل تكوين اجتماعي تكون العشيرة أساسه، بل و أن العشيرة في أبسط صورها لا يمكن أن توجد بدون طوطم . (السايح، د ت، ص ص 56-57).

يقول أن الدين هو قوة اجتماعية يحافظ المشاركون فيها على أداء طقوسه اجتماعيا، حيث يري دوركايم أن الإنسان عندما كان يشترك مع مجموعة في عبادة كائن معين، فهو إنما يعني بذلك عبادة المجتمع الذي ينتمي إليه، فالدين حسب نظرية دوركايم هو المجتمع، فقد قدمت الحياة الاجتماعية مادة أولية أساسية لنشؤ الأديان، ودليله على

ذلك أنه ليس هناك أديان فردية ، بل ظهرت الأديان مع ظهور المجتمعات. (السواح، 2002، ص 315). ولقد قدمت الطقوس واجراءات التحريم مهدا اجتماعيا لنشوء الأديان(الماجدي، 1998، ص86).

و لكن المتأمل في جوانب النظرية الاجتماعية و ما قيل عن أصل نشأة الدين ، يجد أن هذا المذهب بعيد كل البعد عن الواقع.

4. 4 **النظرية العاطفية**: تتعارض هذه النظرية مع سابقتها، ولا تعزو نشأة الدين إلى الأرواح أو الطبيعة أو المجتمع بل إلى العاطفة، حيث يري أنصار هذه النظرية أن هناك عاطفتين أساسيتين وراء نشوء الدين هما الخوف والطمع، وبما أن أقصى مخاوف الإنسان خوفه من الموت، وأقصى طمعه هو الاستقرار والخلود بعد الممات.

فهاتين العاطفتين تتعاونان على صياغة معتقد يقسم الإنسان إلى كيانين، واحد مادي وآخر روحاني، فإن كان الموت سيدرك كيانه المادي عن طريق الخبرة اليومية، فإن الكيان الروحي سوف يجتاز واقعة الموت ويترك سكنه المؤقت إلى عالم آخر للوجود، يتمتع فيه بالحياة الأبدية، ويذكر مالينوفسكي نشوء الدين إلى الاحتياجات العاطفية، و يرى أنها طريق الإنسان لمواجهة الحالات التي لا يستطيع السيطرة عليها.

أما ظهور الآلهة فقد كان نوعا من أنواع الخلاص الذي ابتكره الإنسان لكي يشير به إلى فكرة الخلود أثناء الحياة، ويضمن به فكرة البقاء بعد الموت من خلال رضى الآلهة ومساعدتها. (الماجدي، 1998، ص ص 87-88).

5-4 **النظرية الفلسفية**: طرحت الفلسفة منذ بدايتها تصورات عن الدين ونشأته، ولكن أوضح نظرية فلسفية حول نشأة الأديان تلك التي قال بها الفيلسوف هيجل(Hegel)، حيث يرى أن نشأة الدين وتطوره على أساس أن الدين مرحلة ضرورية في التطور الجدلى للروح، ويري هيجل أن الدين ليس مسألة لا شعورية لدى الإنسان، وإنما فيها قدر كبير من الوعي الشعوري ومن الفكر، فالدين عند الإنسان نتاج الفكر، ويدلل على ذلك بأن الفكر هو ما يميز الإنسان عن الحيوان، وبما أن الإنسان هو الكائن الوحيد المتدين، كما أنه هو المبدع الوحيد للقانون والأخلاق، فالدين لديه إذن نتاج درجة من درجات الفكر والوعي.(النشار، 2018، ص 13.)

من ذلك فإن وجود الدين ليس محض صدفة، وليس وسيلة خالصة، وإنما هو عمل ضروري من أعمال العقل في العالم، ويذهب إلى أن الدين عبارة عن تجل للمطلق في إطار الفكر التصوري، وقدم للدين ثلاث مراحل كبرى هي:

أ- **الديانة الطبيعية:** ويدرج فيها تلك الديانات التي لم تستطع فيها الروح السيطرة بعد على الطبيعة، مثل الديانة الهندوسية والبوذية والصينية.

ب-**الديانة الفردية الروحية**: هي ديانة ترى الآلهة ذات أرواح ولم تعد جوهرا. وتضم الديانات التالية اليهودية والإغريقية والرومانية.

ج-الديانة المطلقة: مضمون هذه الديانة حسب تعبير هيجل هو الحق المطلق الذي اعتبره المسيحية، حيث يكشف الإله عن نفسه. (مراد، د ت، ص 25).

ومن خلال هذا التصنيف نجد أن أصحاب هذه النظرية قد انحازوا إلى الديانة المسيحية باعتبارها ديانة مطلقة.

6-4 **النظرية النفسية**: حيث يري سيقموند فرويد(Sigmund Freud) أن الدين ينبع من عجز الإنسان في مواجهة قوى الطبيعة في الخارج، والقوى الغريزية داخل نفسه، وينشأ الدين في مرحلة مبكرة من التطور الإنساني عندما لم تكن الإنسان يستطيع أن يستخدم عقله بعد في التصدي لهذه القوي الخارجية والداخلية، فالمعتقدات الدينية القائمة اليوم، تحمل معها طابع الأزمان الأولى التي أنتجتها عندما كانت الثقة، فالدين في هذه الحالة هو مرحلة في تطور الحضارة ينبغي تجاوزها، تماما كما يتجاوز الفرد أحوال الطفولة العصابية في طريقه نحو النضج، وبتعبير آخر فإن الدين ظاهرة عصابية على المستوى العام، تعادل الظاهرة العصابية على المستوى الخاص، وأنه نوع من العصاب الاستحواذي الذي يصيب الجماعة.

وبناء على هذا يكون الدين في رأي فرويد تكرار لتجربة الطفل، ويتعامل الإنسان مع القوى المهددة له، بنفس الطريقة التي تعلم بها وهو طفل، وأن يتعامل مع شعوره بعدم الأمان. كما يرى أن الدين هو عبارة عن ناتج عارضي للاضطرابات السلوكية المؤدية إلى الكآبة والسوداوية، وإن هذه النظرية تسلط الضوء على الدوافع النفسية التي تقف وراء الحاجة إلى الدين والمعتقدات. (السواح،2002، ص 326)

هذه بعض النظريات الوضعية التي قيلت بشأن تفسير نشأة العقيدة الدينية، وهي نظريات تعبر عن توجهات أصحابها أو روادها.

5. أصل الدين و مصدره في الاسلام

إن الدين المقصود هو الدين السماوي الذي شرعه الله منذ أن تقرر هبوط آدم إلى الأرض، في قوله تعالى:[**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**]. (سورة البقرة الآيات 33-39) . و في قوله تعالى:[**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**].(سورة طه، الآيات 123-126)، والواضح من خلال هذه الآيات أن الدين أنزل على الإنسان عقب خروجه من الجنة وهبوطه إلى الأرض.

فالخطاب يأمر آدم صراحة عن جدية التكليف، وأنه نازل إلى دار ابتلاء وامتحان، هو وجميع أفراد ذريته من بعده، و أن معيار نجاحهم أو فشلهم في ذلك يرجع أولا وآخرا إلى مدى إتباعهم لهدي الله، الذي يعني بعبارة أخرى الدين بعينه. (حسن مصطفى، 1991، ص85.)

و نجد (عبد الغفور عطار ، 1981، ص 12)يذكر أن الدين فُرض على آدم منذ أن خلقه الله تعالى، فقد تحدث القرآن الكريم أن آدم لما هبط إلى الأرض، وقد تاب الله عليه وعلى زوجته، والتوبة لا تقبل إلا من مؤمن موحد في قوله تعالى:**[فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]** (سورة البقرة ، آية 37.)

و لو أردنا أن نجمل فهمنا للتصور القرآني حول الكيفية التي جاء بها الدين، والصورة التي كان عليها عندما جاء في كلمات مختصرة فإننا نقول: أن مصدر الدين هو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي أنزل الدين على الإنسان منذ أن كان، ليوضح طريق السير الصحيح من الدار الدنيا إلى الدار الآخرة، كما نفهم كذلك أن قوام هذا الدين في الأساس هو التوحيد، أي توحيد الله سبحانه وتعالى.

فالقرآن الكريم يؤكد أن الدين أصله سماوي، وأن أساسه في الأصل هو التوحيد ، ثم يؤكد لنا في آيات أخرى أنه ما من أمة إلا وخلى فيها نذير و معنى هذا أن ديانة التوحيد الأصلية قد وصلت جميع أمم الأرض، سواء منها الأمم التي قبلت بها ، أو تلك التي تنكرت لها.(حسن مصطفى، 1991، ص 86.)

ومن خلال عرض النظريات المفسرة للدين أي المنظور الإنساني لنشأة الدين، ثم الآيات القرآنية التي تتحدث عن منشأ الدين وأصله أي المنظور الإسلامي ، خلصت إلى أن المنظور الإنساني ينطلق في تفسيره لنشأة الدين من تصوره الذي تقوده الموجهات الثقافية والحضارية، وكذلك التأثيرات الدينية التي يخزنها الباحث في داخله ؛ تبعا للقناعات الإيديولوجية والفلسفية، أما المنظور الإسلامي فإنه يعتمد على النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه. ولا من خلفه.

6.خاتمة:

من خلال ما تقدم جاءت نتائج البحث كالتالي:

إن الدين قديم قدم الإنسان، أي أن الدين كان ملازما للإنسان منذ أن كان. وأنه وجدت شعوب من غير حضارة ومازالت تعيش أمم تجهل أسباب العلم، إلا أنه لم يعثر قط على أقوام من الماضي عاشوا من غير دين. فبداية الوجود الديني مرتبطة ببداية الوجود الإنساني.

والباحثون لم يختلفوا حول هذه المسألة والاختلافات الظاهرة الآن، إنما هي في المحاولات التي يبذلها هؤلاء في تفسير الكيفية التي ظهر بها الدين.

فالمنكرون للمصدر الإلاهي للدين المؤمنون بتعليلات الفلسفة المادية حول الكون والإنسان ،و يرون بأن الدين اختراع مبكر من اختراعات العقل الإنساني، فعندهم الواقع بمختلف ظروفه المادية والروحية الطبيعية و التأملية هو الذي أسهم في بلورة الوجود الديني في الحياة الإنسانية.

أما المؤمنون بالدين التوحيدي والمعتنقون لتعاليمه، فيعتقدون أن مصدره ليس الإنسان ولا الظروف، وإنما مصدره هو الله خالق الإنسان، خالق الظروف وخالق الكون والحياة.

7.قائمة المراجع

1. ابن منظور،2000، **لسان العرب**، ط1، بيروت، دار الصادر، مج 5.
2. أحمد الخشاب، **الاجتماع الديني**، د ط، القاهرة، مكتبة القاهرة.
3. أحمد عبد الرحيم السايح، د ت، **بحوث في مقارنة الأديان الدين –نشأته- الحاجة إليه**، الدوحة، دار الثقافة.
4. أحمد عبد الغفور العطار، د ت، **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، مكة المكرمة، مكتبة المهتدين، ج1.
5. حسن علي مصطفى حمدان، 1991. **نشاة الدين بين التصور الانساني و التصور الاسلامي (دراسة في علم الاجتماع الديني)**، ط1، الجزائر، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع.
6. حسين توفيقي،1377 هـ، **دروس في تاريخ الأديان**، ترجمة أنور الرصافي، ط3، منشورات جامعة المصطفى صلى الله عليه وسلم العالمية.
7. خزعل الماجدي،1998، **بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)**، ط1، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع.
8. سعدون الساموك،2002، **موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة (العقائد)** ، ط1، عمان ، دار المناهج للنشر والتوزيع.
9. سعدون محمد الساموك وهدى على الشمري، **الأديان في العالم**، دمشق ، دار وائل .
10. سميح الدغيم، 1995، **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، ط1، بيروت، دار الفكر اللبناني.
11. طارق خليل السعدي،2005، **مقارنة الأديان دراسة في عقائد ومصادر الأديان الوضعية و السماوية**، ط1، بيروت ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر.
12. طه الهاشمي، 1963، **تاريخ الأديان وفلسفتها**، ط8، بيروت، منشورات مكتبة دار الحياة.

13. فراس السواح،2002، **دين الإنسان (بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني)**، ط4، سورية، منشورات دار علاء الدين .
14. الفيروزدبادي، **القاموس المحيط**، القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع ، ج4.
15. محمد عبد الله دراز، د ت **الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، بيروت، دار القلم.
16. محمد نبيل طاهر العمري ومحمد أحمد الحاج، 2010، **مقارنة أديان**، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1،
17. منال عبد المنعم جاد الله،1997، **التصوف في مصروالمغرب**، مصر، الناشر منشأ المعارف بالإسكندرية.